

## في طريق العودة من تبوك إلى المدينة

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُقَنَّ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِطُّوا لِلَّهِ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَاجِرٍ هَاكِرٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْلِلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ. وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾. (سورة التوبة الآيات: ١٠٧ - ١١١)

﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّاهِدَةُ فَيَتَبَشَّرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا خَرُوتَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾. (سورة التوبة الآيات: ١٠٤ - ١٠٦)

\*\*\*

obeikandi.com

«الطريق من تبوك في اتجاه المدينة، وسط صحراء ممتدة مترامية، قاحلة موحشة، لا يدركها البصر، المسلمون يغذون المسير عائدين، وقد أرخى الليل سدوله وهدأت الأصوات إلا من حفيف السائرين ودبيب الخيل والعيير.. النبي - عليه السلام - على راحلته، يسير من خلفه نفر من الصحابة فيهم أبو قتادة.. لا تغيب عيونهم عنه حرصاً عليه.. أبو قتادة يلمح النبي - عليه السلام - وقد خفق خفقة على راحلته ومال على شقه، فيطير إليه ويسنده.. النبي عليه السلام ينتبه من خفقته..».

النبي : (والظلام دامس) من هذا؟  
 أبو قتادة : أبو قتادة يا رسول الله، خفت أن تسقط فدعمتك (سندتك)  
 النبي : حفظك الله كما حفظت رسوله..

\* \* \*

«على الطريق بعد فترة.. وعين أبي قتادة ومن معه لا ترتفع عن الرحمة المهداة.. يلاحظ أبو قتادة أنه - عليه السلام - قد أخذته خفقة أخرى ومال على شقه، فيطير إليه ويسنده، فينتبه النبي - عليه السلام - على أبي قتادة فيدعو له.. ويسأله..».

النبي : يا أبا قتادة..  
 أبو قتادة : لبيك يا رسول الله

النبي : هل لك في التعريس (النزول ليلاً للراحة)؟  
أبو قتادة : ما شئت يا رسول الله..  
النبي : انظر مَنْ خلقك..

«أبو قتادة يتفقد من وراءه، فيجد ثلاثة من المسلمين..».

النبي : (لأبي قتادة) ادعهم..  
أبو قتادة : (منادياً على الثلاثة) أجيئوا رسول الله..

«يسارع الثلاثة إلى الرحمة المهداة، فيهيئون مكاناً مع أبا قتادة لينزل النبي عليه السلام وينزلوا معه فيه.. ما إن فرشوا الأديم وارتاحت الجنوب، حتى راح الجميع من فرط التعب في سبات عميق وقد احتضن أبو قتادة «إداوة» (إناءً صغيراً) فيها ماء و«ركوة» (إناءً صغيراً من الجلد) ليشرَب فيها..».

\* \* \*

«في الصباح وقد ارتفعت الشمس وأرسلت حرارتها.. النبي - عليه السلام - ومن معه يتنبهون من نومهم على وهج الشمس..».

المسلمون : إنا لله قد فاتنا الصبح!  
النبي : (في بساطة) لنغيظن الشيطان كما غاظنا..

«النبي - عليه السلام - يتوضأ ببعض من ماء «الإداوة»..»

النبي

: يا أبا قتادة احتفظ بما في «الإداوة» و «الركوة»، فإن لهما شأنًا..

«النبي - عليه السلام - يؤم من معه لصلاة  
الفجر، ويتلو في صلاته آيات من سورة المائدة،  
حتى إذا ما فرغوا من الصلاة انصرف بهم -  
عليه السلام - ليلحقوا بالمسلمين..».

النبي

: (لرفاقه) أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر لرشدوا..

أحدهم

: وما ذاك يا رسول الله؟

آخر

: (مجيئًا) إن أبا بكر وعمر أرادا أن ينزلا على الماء، فنزل  
الناس على غير ماء بفلاة من الأرض..

«يبدو في الأفق عسكر المسلمين وقد أجهدهم  
الطريق وكادت أعناق الخيل والرجال والركاب  
تقطع عطشًا.. يقترب النبي - عليه السلام -  
ومن معه، فيدعو إليه «بالإداوة» و «الركوة»..  
يقربهما منه أبو قتادة.. النبي - عليه السلام  
- يتناول «الركوة» ويفرغ ما في «الإداوة» فيها،  
ثم يضع أصابعه عليها فأخذ الماء يفيض من بين  
أصابعه وهو ينادى على الناس، فأخذوا يقبلون  
ويستقون والماء يفيض حتى ارتووا وارتوت الخيل  
والركاب وهم لا يصدقون ما يشاهدون..».

النبي

: (وهو يلتفت لأبي قتادة) احتفظ «بالركوة» و «الإداوة»..

\* \* \*

«قافلة العودة في مسيرها وقد مرت بوادي  
الناقة - ويقال له وادي المشقق - وفيه فاض

الماء من «وشل» ضحل بدعاء الرحمة المهداة حتى  
شرب الناس ماشاءوا وهم يسمعون للماء خريراً  
عجباً...».

\* \* \*

«ببعض الطريق، نفر من المنافقين وقد انتحوا  
جانبا يتآمرون على الرحمة المهداة.. يتمنون أن  
يسلك في عودته طريق «العقبة» لا طريق الوادي  
ليتحينوا فرصة للفتك به!!».

: (لمن معه) إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي!  
: (مصادقين) أصبت!

أحدهم  
الآخرون

\* \* \*

«فى الطريق، وقد كشف الله للنبي - عليه  
السلام - مكرهم.. النبي يبطن ما عرف، ويأمر  
بمن ينادى على الناس...».

: (منادياً) يا معشر المسلمين، إن رسول الله أخذ العقبة فلا  
يأخذها أحد، واسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع.  
«المسلمون يميلون في مسيرهم إلى حيث أشار  
المنادى إلى بطن الوادي.. إلا المنافقون الذين  
مكروا وتآمروا.. تثلثوا واستعدوا ليسلكوا طريق  
العقبة ليتحينوا بغتة لينقضوا فيها لدفع النبي -  
عليه السلام - إلى بطن الوادي!».

المنادى

\* \* \*

«النبى - عليه السلام - على ناقته بطريق  
العقبة، عمار بن ياسر آخذ بزمامها، وحذيفة بن  
اليمان يسوق من خلفها.. بعض المنافقين يشرعون  
فى تغشى مسيرة النبى - عليه السلام - فتنفر  
الناقة حتى سقط عنها بعض المتاع - حذيفة بن  
اليمان يرتد إليهم غاضباً يضرب وجوه رواحلهم  
بمحجن فى يده..».

حذيفة بن اليمان : (وهو يضرب بمحجنه) إليكم إليكم يا أعداء الله.. إليكم  
إليكم يا أعداء الله!

«المنافقون ينفرون متفرقين وقد شعروا بأن  
النبى - عليه السلام - قد انكشف عنه سترهم،  
ينحطون من العقبة مسرعين ليخالطوا الناس  
فى بطن الوادى فلا يتعرف عليهم أحد وسط  
الزحام..».

النبى : (لحذيفة) هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم؟  
حذيفة بن اليمان : يا رسول الله قد عرفت رواحلهم.. كان القوم متلثمين فلم  
أبصرهم من ظلمة الليل..

النبى : (لحذيفة وعمار) هل علمتما ما كان من شأنهم وما أرادوا؟!  
حذيفة وعمار بن ياسر : لا والله يا رسول الله!

النبى : (لصاحبيه) فإنهم مكروا ليسيروا معى فإذا طلعت العقبة  
زحمونى فطرحونى منها.. قد أخبرنى الله تعالى بأسمائهم  
وسأخبركم بها إن شاء الله تعالى..

حذيفة وعمار : أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تُضرب  
أعناقهم؟!

النبي : أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه!

«النبي يسر إلى حذيفة وعمار بأسماء المنافقين ولكنه يوصيهما أن يكتما ما أسرَّ به إليهما..».

النبي : (لصاحبيه) اكتماهم، فإذا أصبحت فاجمعاهم لى.

\* \* \*

«فى اليوم التالى وقد ذاع الخبر.. أسيد بن حضير يسرع غاضباً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم».

أسيد بن حضير : يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادى؟! .. (يستدرك) فقد كان أسهل من العقبة!

النبي : يا أبا يحيى أتدرى ما أراد بى المنافقون وما هموا به؟! .. (يستأنف) قالوا: تتبعه من العقبة، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع (جمع نسع وهو سير عريض لشد الحقائق والرحال) راحتى ونخسوها حتى يطرحونى عنها!

أسيد بن حضير : يا رسول الله، قد اجتمع الناس ونزلوا، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى همَّ بهذا منهم، فيكون الرجل من عشيرته هو الذى يقتله، وإن أحببت والذى بعثك بالحق فنبئنى بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم!

النبي : يا أسيد، إنى أكره أن يقول الناس إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم.. إنى أكره أن يقول الناس إن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده فى قتل أصحابه!

أسيد	: (مراجِعًا) يا رسول الله؟ فهؤلاء ليسوا بأصحاب!
النبي	: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟!
أسيد	: بلى، ولا شهادة لهم!
النبي	: أليس يظهرون أنى رسول الله؟!
أسيد	: بلى، ولا شهادة لهم!
النبي	: فقد نهيت عن قتل أولئك!

\* \* \*

«النبي - عليه السلام - فى خبائه، يدعو إليه حذيفة بن اليمان فيرسله فى طلب المنافقين تبعًا.. واحدًا وراء آخر، يسألهم تبعًا ما حملهم على هذا، فيرد كل منهم بما شاء، فلا يضيق عليهم النبي ولا يطلع على سرهم أحدًا إلا حذيفة بن اليمان وعمار اللذين أطلعهما على أمرهم وأوصاهما بكتمانه فلا يعرفه أحد آخر!.

\* \* \*

«النبي - عليه السلام - وسط أصحابه وقد اقتربوا من المدينة، يلح عليه بعضهم أن يفشى سر المنافقين فما يزيد عن أن يقول لهم...».

النبي : فى أصحابى اثنا عشر رجلاً منافقًا لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط!..

بعض المسلمين : (فرحين وقد ظهرت المدينة فى الأفق البعيد) ها هى المدينة قد أطلت يا رسول الله من بعيد..

: إن بالمدينة أقوامًا ما سرتهم سيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم.

النبي

: يا رسول الله، وهم في المدينة؟!  
: نعم، وهم بالمدينة. حسبهم العذر.

المسلمون

النبي

\* \* \*

«بذى أوان.. بلدة على بعد ساعة من المدينة..  
المسلمون يحطون الرحال طلبًا لبعض الراحة قبل  
أن يدخلوا المدينة، تأتي الأخبار بأن المنافقين قد  
أتموا تجهيز المسجد الذي بنوه لتشتيت المسلمين  
ودعوا الرسول - عليه السلام - قبل تبوك للصلاة  
فيه فاعتذر لهم بأنه على سفر، وأمهلهم لحين  
عودته من تبوك.. وها هي طلائع منهم تسعى  
للقائه على الطريق إلى المدينة يحاولون معاودة  
الكرّة.. وإنه عليه السلام ليعلم من أمرهم أنهم  
أهل نفاق لا يبتغون بذلك إلا كيدًا وبثًا للفرقة  
للمسلمين..».

\* \* \*

«النبي - عليه السلام - خالٍ لنفسه في خبائه،  
يتعبد إلى ربه ويناجيه.. يتنزل عليه الروح الأمين  
عليه السلام، فيوحى إليه من آيات ربه..».

: (يتلو على محمد) ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بِنِكَتِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بِنِكَتِهِ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَرِئَالَ بَيْنَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا رَبِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (سورة التوبة الآيات: ١٠٧ - ١١٠)

(يرتفع الوحي)

«النبى - عليه السلام - يخرج إلى أصحابه ،  
فيدعو إليه مالك بن الدخشم ومعر بن عدى  
وعاصم بن عدى وعامر بن السكن» .

: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فهدموه وحرقوه!  
(يلتفت إلى المسلمين) لمسجد أسس على التقوى  
من أول يوم أحق أن تقوم فيه .. فيه رجال يحبون  
أن يتطهروا والله يحب المتطهرين .

النبى

\* \* \*

«وقد أطل المسلمون على مشارف المدينة -  
وغمرتهم المسرات بالعودة إلى الديار حيث تركوا  
الأهل والصغار..» .

: (وهو يرنو ببصره إلى المدينة) هذه طابة .. أسكننيها ربي ..  
تنفى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد..

النبى

النبي

: وهذا أحد.. جبل يحبنا ونحبه..

«وقد ظهر جبل أحد شامخاً في بطن الأفق..».

«عند ثنية الوداع.. وقد سبقت الرسل إلى  
المدينة بوصول الرحمة المهداة والأحاب.. تسارع  
النساء والصبيان إلى مشارف المدينة، يستقبلن  
موكب العائدين بالأفراح..».

النساء والصبيان : (ينشدون)

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

\* \* \*

«النبي - عليه السلام - يتجه والمسلمون  
ناشدين المسجد النبوي ليركع بهم ركعتين كما  
اعتاد لدى وصوله من سفر إلى المدينة..».

«النبي - عليه السلام - جالس إلى المسلمين  
بعد أن فرغوا من الصلاة، يتوافد إليه المتخلفون  
الذين تخلفوا عن الخروج معه إلى تبوك، عددهم  
قريب من الثمانين.. طفقوا يعتذرون ويحلفون  
على صدق أعدارهم، والنبي - عليه السلام - لا  
يكذبهم ويقبل منهم علانيتهم ويبايعهم ويستغفر  
لهم ويكل سرائرهم إلى الله..»

«النبي - صلى الله عليه وسلم - في طريقه من  
المسجد إلى بيته.. يمر بنفر من المسلمين مقيدين  
بسواري المسجد!».

النبي : (للسحابة مدهوشاً) من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري؟!  
 أحد المسلمين : هذا أبولبابة وأصحاب له تخلفوا، وقد اعترفوا بذنوبهم،  
 وقيدوا أنفسهم وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى  
 ترضى عنهم وتطلقهم أنت يا رسول الله.

النبي : لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم، ولا أعذرهم حتى يكون  
 الله هو يعذرهم، وقد تخلفوا عني ورجبوا بأنفسهم عن غزو  
 المسلمين وجهادهم!

«النبي - عليه السلام - يمضى إلى بيته،  
 وأنظار المقيدين بالسواري معلقة به بين اليأس  
 والرجاء!».»

\* \* \*

«بيت النبي - عليه السلام - وهو خالٍ إلى  
 نفسه في هدأة الليل، يتهجّد ويتعبّد إلى ربه  
 ويناجيه.. يتنزل عليه الروح الأمين فيلقنه من  
 كلمات ربه...».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَمَنْ حَوْلَ كُرَيْمٍ﴾ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ  
 وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ  
 مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ  
 خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 ﴿١١٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ  
 سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ  
 عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا  
 فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّوْكَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ

فَيُنشِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخِرُونَ لِمَرْجُونِ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَامًا  
 يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَامًا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ (سورة التوبة  
 الآيات: ١٠١ - ١٠٦)

(يرتفع الوحي)

«أم سلمة بقريب من خلوة النبي - عليه السلام  
 - تلحظه متبسماً وقد ارتفع عنه الوحي..».

أم سلمة : ما يضحكك يا رسول الله؟!  
 النبي : تيب على أبي لبابة.  
 أم سلمة : (فرحةً) أؤذنه بذلك؟  
 النبي : ما شئت..

«أم سلمة تبادر فترسل إلى أبي لبابة وصحبه  
 أن الله تعالى قد تاب عليهم..».

رسول أم سلمة : أبشر فقد تاب الله عليك..

«المسلمون يهللون ويكبرون فرحين ويسارعون  
 إلى أبي لبابة لفك قيده ومن معه من الموثقين..».

أبولبابة : (معتزلاً) لا والله، حتى يأتي رسول الله فيكون هو الذى  
 يطلقنى.

أحد المسلمين : نحن فى جوف الليل، ولن يخرج إلا لصلاة الصبح!  
 أبولبابة : (مصمماً ومن معه) حتى يأتي رسول الله فيكون هو الذى  
 يطلقنا..

\*\*\*

«المسجد النبوى فى الصباح، بعد صلاة الفجر  
 - وقد فك النبي - عليه السلام - وثاق أبي لبابة

والموثقين معه بين تكبيرات المسلمين.. يجلس  
- عليه السلام - إلى أصحابه فيتلو عليهم ما  
تنزل من سورة التوبة في أمر أبي لبابة والموثقين  
معه..».

أحد المسلمين : من المرجون لأمر الله يا رسول الله ، الذين تقول الآيات إن  
الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

آخر : لعلهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع !  
«النبي - عليه السلام - لا يعقب ، ولكن  
يسأل أصحابه عنهم..».

\* \* \*

«كفار قريش وقد دأبوا على النكث بعهودهم  
ليس فقط مع المسلمين ، وإنما مع كل من  
والاهم.. فقد مكرت قريش لقتل النبي عليه  
السلام ، وحشدت لذلك ليلة هجرته ، ولكن  
تدبيرها أخفق وهاجر النبي عليه السلام وصاحبه  
أبو بكر سالمين إلى المدينة المنورة.. تروى سورة  
الأنفال ما كان من ذلك فتقول: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِطُوا يَدَيْهِمْ عَلَيْكَ وَقَدْ خَلَفْنَاكَ بِالْأَعْيُنِ  
وَمَا نَحْنُ بِمَبْصُورِينَ﴾ (سورة الأنفال  
الآية : ٣٠).. وفى ذلك قالت سورة الإسراء:  
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ  
مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة  
الإسراء الآية : ٧٦).. وظلوا يفتعلون الأفاعيل

لمهاجمة الإسلام والمسلمين والكييد للرسول عليه الصلاة والسلام.. دخلت قريش في حلف مع بنى بكر يوم عهد الحديبية، وظلت تحرضها لتعتدى على خزاعة التي حالفت المسلمين.. بغياً من بنى بكر وظلماً وعدواناً..».

«استنجدت خزاعة بالنبي عليه الصلاة والسلام، فلبى نداءهم، ونهض المسلمون لنجدتهم بعد أن ذاقت خزاعة الأمرين من بنى بكر ومن قريش..»

«النبي عليه الصلاة والسلام فى ابتهاله ودعائه إلى ربه، وقد تلقى استغاثة خزاعة لنجدتها من بغى المشركين وبنى بكر.. يتنزل عليه الروح الأمين، فيلقى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿الْأَنْفَالُونَ قَوْمًا نَزَكُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَك مَرَّةً أَخَشَوْهُمْ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (سورة التوبة الآيات: ١٣ - ١٥).

(يرتفع الوحي)

\* \* \*

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى - عليه السلام - ومن حوله المسلمون وقد وصلت طلائع

البشارة التي بعث بها خالد بن الوليد من دومة الجندل.. مع مبعوث خالد «قبا» حسان أخي أكيدر.. «القباء» بديع المنظر من ديباج مخصص بالذهب، فجعل المسلمون ينظرون إليه ويلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه.. لمحتهم عين الرحمة المهداة، فناداهم عليه السلام..».

: (للمسلمين) أتعجبون من هذا؟! فالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا!

النبي

«يلتفت المسلمون على «جلبة» فى مدخل المسجد، يظهر خالد بن الوليد وفى أعقابه ثلة من الفرسان وقد اقتاد بعضهم أكيدر بن عبد الملك وأخاه مُضَادَّ.. خالد ييمم مباشرة إلى مجلس الرحمة المهداة، فيلقى السلام، بينما يستقبله - عليه السلام - بالبشر والحفاوة وقد سبقت إليه أنبأؤه.. من خلفه يبدو «أكيدر» و«مُضَادَّ».. ما إن يرى أكيدر رسول الله حتى يبادر فيسجد، ولكن النبي - عليه السلام - يومئ إليه بيده مرتين لينهض.. النبي - عليه السلام - يبادر فيذهب وحشته، ويطمئنه حتى أفرخ روع الرجل ومن معه وشاعت الطمأنينة فى حناياهم..»

«النبي عليه السلام، وقد عرض عليهم الإسلام، وبسط لهم أحكامه، وتلا عليهم شيئاً من الذكر الحكيم، تاركاً لهم الحرية فى أن يحتكموا إلى ما تهديهم إليه قلوبهم.. على ملامحهم تفيض

علامات الإيمان، فينطقون بالشهادة بين فرح وحبور وتكبيرات المسلمين.. النبي عليه السلام وقد أقر ما صالح عليه أكيدر خالد بن الوليد، ينادى على كاتبه ليمليه العهد والأمان الذى قطعه.. الكاتب يحضر رقعة وينتهي للكتابة..».

: (يملى على كاتبه) بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها (جوانبها ونواحيها): أن لنا الضاحية (أطراف الأرض) من الضحل (قليل الماء) والبور والمعامى (الأرض التى لا عمارة فيها) وأغفال الأرض (لا أثر فيها) - والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل (الحافة بالنخيل) والمعين من المعمور (الأرض العامرة بالماء)، ولا تُعدل سارحتكم (لا تصرف ماشيتكم عن المرعى) ولا تُعدّ فاردتكم (أى لا تحصى عليكم) ولا يُحظر عليكم النبات.. تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك عهد الله والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء، شهد الله ومن حضر من المسلمين.

«النبي - عليه السلام - يتفقد خاتمه ثم يختم الكتاب بظفره، وأكيدر وأخوه وقومهما لا يخفون فرحهم وقد وضع الرسول عنهم الجزية وأخذوا يتهيأون للعودة إلى الديار مشيعين بالبسمات وتكبيرات المسلمين فرحاً وحمداً بمن دخلوا فى واحة الإسلام..».

\* \* \*

«دار كعب بن مالك، خالٍ إلى نفسه وقد بلغ منه الهم واجتاحته الخواطر.. قد بلغه الآن أن النبي - عليه السلام - يتفقده ويسأل عنه.. وإنه ليعلم أن سعد بن معاذ رد غيبته في تبوك وقال للرسول - عليه السلام- : ما علمت عليه إلا خيراً.. قد صدق ابن معاذ، ولكن أتراه أصاب في إعداره له عن تخلفه عن الخروج مع رسول الله إلى تبوك؟!.. كعب بن مالك يقول لنفسه إنه لم يتخلف عن رسول الله بعد بدر، وإنه ليعجب لأمر نفسه : لم تخلف هذه المرة عن رسول الله؟!.. يقول لنفسه : لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تبوك، ولا اجتمعت عندي راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة؟!..!.. أجل كان الحر شديداً، ولكن رسول الله دعاهم إلى الخروج.. إنه ليذكر يومها أنه أزمع الخروج مع النبي - عليه السلام - وأنه طفق يغدو لكي يتجهز، ولكنه يرجع في كل مرة دون أن يقضى من جهازه شيئاً.. وإنه ليذكر أنه ظل على ترده حتى أوشك المسلمون على الخروج وهو يمتنى نفسه بأنه سوف يتجهز ويلحق بهم بعد يوم أو يومين.. ولكنه ظل على ترده ونكوصه حتى تفرط الغزو وقعدت عزيمته عن اللحاق بالمسلمين.. وإنه ليذكر أنه لم يفارقه الندم منذ خرجوا وقعد، وزاد همّه وحزنه أنه

لم ير في المتخلفين إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق (مطعوناً عليه في دينه بالنفاق)، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.. وإن الحزن ليقطع نياط قلبه حين سمع أن رسول الله سأل عنه وهو جالس في القوم بتبوك وقال: «ما فعل مالك؟»، فسخر منه رجل من بنى سلمة وقال: «يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفه (كناية عن زهوه وإعجابه بنفسه)..» لله در سعد ابن معاذ، لقد غضب له وقال للرجل «بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيراً»... وإنه ليحز في نفسه أن رسول الله سكت ولم يخض فيه بشيء يكرهه.. ها هي الأيام قد انصرمت - يقول كعب لنفسه، وها هو الرسول والمسلمون قد عادوا، كيف به يخرج من سخط رسول الله - عليه السلام - إذا لاقاه غداً!!..! أيكذب أو يتمحك كما كذب أو تمحك المعتذرون؟! ولكن كيف له أن يكذب على رسول الله.. (وقد حزم أمره) هو الصدق إذن.. هذا ما يليق به ويليق بالحديث إلى الرحمة المهداة..».

\* \* \*

«المسجد النبوي، النبي - عليه السلام - في صحابته وقد دخل كعب بن مالك يسبقه خجله، فيلقى بالسلام على رسول الله..»

النبي

: (وقد تبسم تبسّم الغضب) تعال..

«كعب بن مالك يمشى حتى يجلس بين يدي

الرحمة المهداة..».

النبي

: ما خلفك؟! .. ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟!!

كعب بن مالك : بلى والله، إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت

أنى سأخرج من سخطه بعذر، وقد أعطيتُ جدلاً (فصاحة  
وقدرة على الكلام)، ولكنى والله قد علمت لئن حدثتك  
اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك  
علىّ، ولئن حدثتكَ حديث صدق تجد (تغضب) علىّ فيه  
وإنى لأرجو فيه عقبي الله.. (يستأنف وقد حزم أمره) لا  
والله، ما كان لى عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى  
حين تخلفت عنك!

النبي

: (للصحابه) أما هذا فقد صدق.. (يلتفت إلى كعب) فقم

حتى يقضى الله فيك.. (للمسلمين) لا يكلمنّ أحدٌ أحدًا من  
هؤلاء الثلاثة.. لا تكلموا رجلاً منهم ولا تجالسوهم حتى  
آذن لكم!

«كعب بن مالك ينهض محزونًا فيغادر

المسجد، بينما يسارع فى أعقابهِ رجال من بنى

سلمة..».

بنو سلمة

: (مواسين) والله ما علمناك كنت أذنبت قبل هذا، ولقد

عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله بما اعتذر إليه  
المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله..  
(ملحين) ما علمناك أتيت قط غير هذا الذنب، أفلا اعتذرت  
إليه فيسمعك ما وسع المتخلفين؟ يكفيك استغفار رسول الله!

«بنو سلمة يلحون فى مراجعة كعب حتى  
كاد أن يعود إلى النبى - عليه السلام - ليرجع  
أمامه عما قال.. ولكنه يتماسك فيسألهم..».

كعب بن مالك : هل لقي هذا معى أحد؟  
بنو سلمة : أجل.. رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل  
لك!

كعب بن مالك : من هما؟  
بنو سلمة : مرارة بن الربيع العَمْرى ، وهلال بن أمية الواقفى..  
«كعب بن مالك يقول لنفسه : هذان صالحان  
قد شهدا بدرًا فيهما أسوة.. كعب ينطلق راضياً  
عما تحدث به عن صدق إلى رسول الله..».

\* \* \*

«المسجد النبوى ، والمسلمون مشغولون بالثلاثة  
أصحاب رسول الله الذين نهى - عليه السلام -  
عن الحديث إليهم..»

البعض : هلكوا إذا لم ينزل عذرهم!  
آخرون : عسى الله أن يتوب عليهم.

\* \* \*